

سلوة الحزين ولذة السالين

تأليف

محمد بن أحمد بن محمد العماري

عضو الدعوة والإرشاد

بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

بالمملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني

alammary4@hotmail.com

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ
الْبَيَانَ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ أَمَّا
بَعْدُ.

فاعلم بأن العلم خير ما سعي فيه وأولى ماله العبد دعي
قَالَ تَعَالَى: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } [طه: ١١٤]
لأنه لا يخشى الله إلا العلماء.

قَالَ تَعَالَى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: ٢٨].
وَلَا يَعْرِفُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ . قَالَ تَعَالَى: { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } [سبأ: ٦].

وَلَا يَحْفَظُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ . قَالَ تَعَالَى: { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ } [العنكبوت: ٤٩].

وَلَا يَفْهَمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ . قَالَ تَعَالَى: { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا
إِلَّا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت: ٤٣]
وَلَا يَعْمَلُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ.

قَالَ تَعَالَى: { قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا } {107} وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
لَمَفْعُولًا } {108} وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء: ١٠٧ -
١٠٩].

وَلَا يَتَعَلَّمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ . قَالَ تَعَالَى: { وَكَانَ كُتُوبًا رَبَّانِيًّا بِمَا
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } [آل عمران: ٧٩]

وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ. قَالَ تَعَالَى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [سورة النحل ٤٣]

ولا يفتي بما أنزل الله إلا العلماء. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله. فقال الخصم الآخر وهو أفتقه منه نعم فاقض بيننا بكتاب الله وأئذن لي. فقال رسول الله ﷺ «قل». قال إن ابني كان عسيفاً (١) على هذا فزني بامرأته وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم ردّ وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها». قال فعدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت. رواه البخاري (٢) ومسلم (٣)

ولا يقوم بالقسط إلا العلماء. قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران 18]
ولا يرفع درجات إلا العلماء. قال تعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة 11]

فهل يستوي العلماء وغير العلماء. قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر 9]

فإلي طاب العلم وقاصد الفهم:

أنشر دراً بين سارحة بهم

وأنظم منشوراً لراعية الغنم

لعمري لأن ضيعت في شربلدة

(١) العسيف هو الأجير

(٢) صحيح البخاري (باب الاعتراف بالزنا)

(٣) صحيح مسلم (باب من اعترف على نفسه)

فلست مضيعاً فيهم غررالكلم

لأن سهل الله العزيز بلطفه

وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم

بثت مفيداً واستفدت ودادهم

وإلا فمكنون لدى ومكتهم

ومن منح الجهال علماً أضاعه

ومن منع المستوجبين فقد ظلم

سئل بعض أهل العلم: عن العلم .

فقال: سلوتي إذا حزنت ، ولذتي إذا سلوت .

وقال بعض البلغاء: من تفرّد بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن تسلى بالكُتب لم

تفتنه سلوة ، ومن أنسه قرآنة القرآن ؛ لم توحشه مفارقة الإخوان .

وقال بعض الحكماء: لاسمير كالعلم ، ولاظهر كالعلم .

وقال الشافعي رحمه الله: يصف حلاوة العلم ، ولذة الفهم .

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ الَّذِي	مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ (١) وَطَيْبِ
عِنَاقٍ وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا	أَحْلَى مِنَ الدُّوْكَاءِ (٢) وَالْعَشَاقِ
وَالَّذِي مِنْ نَقْرِ الْفَتَاةِ لِذَفِّهَا	نَقْرِي لِأَلْقِي الرَّمْلِ عَنْ أَوْرَاقِي
وَتَمَائِلِي طَرْبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ فِي الدَّرْسِ	أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ (٣) سَاقِي
وَ أَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى (٤)	وَتَبَيْتُهُ نَوْمًا وَتَبْغِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

(1) الغانية الجارية الحسنة سميت غانية لأنها غنيت بحسنها

(2) الجماع .

(3) الخمر

(4) الدجى: الظلمة.

قَالَ الْمَاورِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعِلْمُ أَشْرَفُ مَا رَغِبَ فِيهِ الرَّاعِبُ، وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَهُ الطَّالِبُ، وَأَنْفَعُ مَا كَسَبَهُ الْكَاسِبُ.

وَقَالَ الْحَافِظُ الْحَكَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْعِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ لِلَّهِ	أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
الْعِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ	أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْجَهَالُ فِي الظُّلْمِ

وَالْعِلْمُ: مَنْقَبَةٌ كَرِيمَةٌ، وَمَفْخَرَةٌ عَظِيمَةٌ.

قَالَ صَاحِبُ شَذَا الْعَرَفِ فِي فَنِّ الصَّرْفِ:

الْفَخْرُ بِالْعِلْمِ لَا بِالْجَاهِ وَالْمَالِ	وَالْجِدُّ بِالْجِدِّ لَا بِالْجَدِّ وَالْحَالِ
كَمْ مِنْ مَيْلٍ وَوَضِيءٍ الْوَجْهِ تَحْسِبُهُ	لِلْعِلْمِ خِلًا وَلَكِنْ فِكْرُهُ خَالِ
فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ أَسْبَابُ الْعُرُورِ	وَمَنْ يَعْتَزُّ بِالْأَهْلِ كَالْمُغْتَرِّ بِالْأَلِ
تِلْكَ الْأُمُورُ سَحَابَاتٌ تُغَيِّرُهَا	حَوَادِثُ الدَّهْرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ
وَلَكِنْ الْعِلْمُ لَا يَنْفَكُ صَاحِبُهُ	مُعَظَّمُ الْقَدْرِ فِي حِلٍّ وَتَرَحَالِ
أَفْقَ السَّمَاكِينَ (١) بَلْ أَعْلَاهُ مَقْعَدُهُ	فِي كُلِّ حَالٍ تَرَاهُ نَاعِمَ
الْبَالِ	
إِنْ عَاشَ عَاشَ أَجَلَ النَّاسِ مَنْزِلَةً	أَوْ مَاتَ مَاتَ بِإِعْظَامٍ وَإِجْلَالِ

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لِبَنِيهِ يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقُتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا سُدْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ سَوَاقَةً عَشْتُمْ.

وَقَالَ الْمَاورِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: تَعَلَّمَ الْعِلْمَ؛ فَإِنَّهُ يُسَدِّدُكَ وَيُقَوِّمُكَ صَغِيرًا وَيُسَوِّدُكَ وَيَقْدِمُكَ كَبِيرًا وَيُصْلِحُ زَيْفَكَ وَفَسَادَكَ، وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحُسَادَكَ، وَيُقَوِّمُ عَوْجَكَ وَمَيْلَكَ، وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وَأَمَلَكَ.

(1) السماكان: السماء والأرض.

قال تعالى: { اقرأ باسم ربك الذي خلق } [العلق: ١]

فِبِالْقِرَاءَةِ: أَصْبَحَ الْإِنْسَانُ بَصِيرًا بَعْدَ أَنْ كَانَ ضَرِيرًا. قال تعالى: { أَفَمَنْ يَعْلَمُ لَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } [الرعد: ١٩]
وَبِالْقِرَاءَةِ: أَصْبَحَ الْإِنْسَانُ حَيًّا ؛ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَيِّتًا وَخَرَجَ إِلَى الثُّورِ الثَّامِ ؛ بَعْدَ أَنْ عَاشَ فِي الظُّلَامِ . قال تعالى: { أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: ١٢٢]

وَبِالْقِرَاءَةِ: أَصْبَحَ الْإِنْسَانُ إِمَامًا ؛ يَقُودُ النَّاسَ بِلا زِمَامٍ . قال تعالى: { وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } [الأنبياء: ٧٣]

قال أبو إسحاق الإلبيري رحمه الله:

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَ	إِلَى مَا فِيهِ حِطُّكَ لَوْ عَقَلْتَ
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا	مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَ

الْعِلْمُ مَنْ ذَاقَ حَلْوَاهُ ؛ لَمْ يَشْتَغَلْ بِسِوَاهُ.

قال أبو إسحاق الإلبيري رحمه الله:

فَلَوْ قَدْ ذُوقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمًا	لَأَثَرْتَ التَّعَلَّمَ وَاجْتَهَدْتَ
وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوَى مُطَاعًا	وَلَا دُنْيَا بَرُخْرُفِهَا فُتِنَتَا
وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنْيَقُ رَوْضٍ	وَلَا خِدْرٌ (١) بَرِيْنَتِهَا كَلِفَتَا

وقال الإمام الشنقيطي صاحب أضواء البيان رحمه الله: يَصِفُ حَلَاوَةَ الْعِلْمِ ، وَلَدَّةَ الْفَهْمِ .

دَعَانِي النَّاصِحُونَ إِلَى النَّكَاحِ

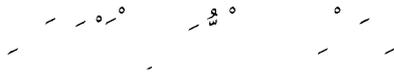
غَدَاةَ تَزَوَّجَتْ بِيضَ الْمِلَاحِ

(1) الخدْر: السِّتْرُ. وجارية مُخَدَّرَةٌ، إذا لازمت الخدْرَ.

- فَقَالُوا لِي تَزَوَّجْ ذَاتَ دَلٍّ (١)
- (٢) خَلُوبُ اللَّحْظِ جَائِلَةُ الْوَشَاحِ
كَأَنَّ لِحَاطَهَا رَشَقَاتُ نَبْلِ
تُذِيقُ الْقَلْبَ آلامَ الْجِرَاحِ
وَلَا عَجَبٌ إِذَا كَانَتْ لِحَاطٌ
لَبِيضَاءِ الْمَحَاجِرِ كَالرَّمَّاحِ
فَكَمْ قَتَلًا كَمِيًّا ذَا (٣) وَلَا هِي
ضَعِيفَاتُ الْجُفُونِ بِلَا سِلَاحِ
فَقُلْتُ لَهُمْ دَعُونِي إِنْ قَلْبِي
مِنَ الْعِي (٤) الصُّرَاحِ الْيَوْمَ صَاحِي
وَلِي شُغْلٌ بِأَبْكَارِ عَدَارِي
كَأَنَّ وُجُوهَهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِي
أَرَاهَا فِي الْمَهَارِقِ (٥) لَا بَسَاتِ
بِرَاقِعٍ مِنْ مَعَانِيهَا الصِّحَاحِ
أَبَيْتُ مُفَكِّرًا فِيهَا فُتْضِحِي
لَفَدَمِ (٦) الْفَهْمِ خَافِضَةَ الْجَنَاحِ
أَبْحَتُ حَرِيمَهَا (٧) جَبْرًا عَلَيْهَا
وَمَا كَانَ الْحَرِيمُ بِمُسْتَبَاحِ

(2) الدل الشكل

- (1) عقد من الدر تتوشح به المرأة أي تلبسه كما يلبس المحرم رداءه
- (2) الكمي الرجل الشجاع لأنه كمي نفسه بالسلاح أي سترها (ذا ولاهي أي ذا سيادة) (أي كم قتلا شجاعاً سيداً)
- (3) أجهل وفي الحديث (إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ)
- (4) قال الأصمعي: المهرق: الصحيفة، فارسيٌّ معرَّب؛ والجمع المهارق. الصراح للجوهري (ج 2 ص 250)
- (5) ثقيل الفهم قال بن الأعرابي: الفدم: الدَّمُ ومنه قيل: للثقل فدمٌ تشبيهاً به. تهذيب اللغة للأزهري (ج 4 ص 466)
- (6) والحريم في الأصل: ما حول الشيء ومنه حریم الدَّارِ - تاج العروس للزبيدي (ج 1 / ص 56)



قَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ: تَعَلَّمَ الْعِلْمَ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا وَإِن لَمْ يَكُنْ لَكَ جَمَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا.

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ؓ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلَّمَهُ اللَّهُ خَشِيَّةً ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةً ، وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةً ، وَبَدَلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةً. وَهُوَ الْأَنْبِيَسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي الْخَلْوَةِ ، وَالْمَصْبِرُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْوَزِيرُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ ، وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ. يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَكُونُونَ سَادَةً وَقَادَةً فِي الْخَيْرِ، يُفْتَدَى بِأَفْعَالِهِمْ ، وَتُرْمَقُ آثَارُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي صُحْبَتِهِمْ ، وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ ، وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابَسٍ لَهُمْ يَسْتَغْفِرُ حَتَّى الْحَيْتَانُ فِي الْبَرِّ وَهَوَامُهُ وَسِبَاعُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى ، وَمَنَارُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ بِهِ يَبْلُغُ الْعَبْدُ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالصِّيَامِ ، وَمُذَاكَرَتُهُ بِالْقِيَامِ ، وَبِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ. يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ ، وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءُ .

وللعالم والمتعلم آداب توصلهما علم الكتاب

آداب المتعلم

أولاً الإخلاصُ لله. قَالَ تَعَالَى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر: ٣]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 2]

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر: 11]

و قَالَ تَعَالَى: {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر: 14]

فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا أَفْسَدَ حَيَاتَهُ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسُونَ } [١5] { أُولَئِكَ

الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

[هود: ١٥ - ١٦]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

« يَعْنِي رِيحَهَا). رواه أبو داود (١) وصححه الألباني (٢)

ثانياً الصدق في النية والقول والعمل. قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣]
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» رواه البخاري (٣) ومسلم (٤)

ثالثاً أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْهُدَايَةَ .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: **عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ **فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ** رواه مسلم (٥)
رابعاً التقوى. قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}

[البقرة: ٢٨٢]

خامساً اختيار معلم يعلمه الكتاب والسنة. قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤]
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو بن العاص رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ

(١) سنن أبي داود [باب في طلب العلم لغير الله]

(٢) صحيح وضعيف سنن أبي داود رقم 3664 (ج 1 / ص 2)

(٣) صحيح البخاري [باب قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}]

(٤) صحيح مسلم [باب قبح الكذب حسن الصدق].

(٥) صحيح مسلم [باب تحريم الظلم]

يُقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) رواه

البخاري (١) ومسلم (٢)

فالكتاب يحتاج لمعلمٍ لِيُعْرَفَ الصَّوَابُ لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَكَلَامَ رَسُولِهِ ﷺ فِيهِ الْجَمَلُ
وَالْمُبِينُ وَالْعَامُّ وَالْخَاصُّ وَالْمَطْلُوقُ وَالْمَقِيدُ وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ وَهَذَا كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْلَمٍ
لِيُصِيبَ الْمُتَعَلِّمَ.

وقد قيل

مَنْ كَانَ شَيْخَهُ كِتَابَهُ كَانَ خَطَاؤُهُ أَكْثَرَ مِنْ صَوَابِهِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ أَخَذَ عَنْ جَبْرِيلَ الْكِتَابَ وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَخَذَ الْأَصْحَابَ.

قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {192} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} {193} عَلَى

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ} {194} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ

». رواه مسلم (٣)

ويشترط في المعلم أن يكون ربانياً. قَالَ تَعَالَى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ

تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران: ٧٩]

وللرباني علامتان الأولى: تعلُّمُ الكتابِ والسُنَّةِ {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ

تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ}

والثانية: تعلُّمُ الكتابِ والسُنَّةِ {وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}

فالرباني هو مَنْ يُعَلِّمُ كِتَابَ الرَّبِّ وَيَدْرُسُهُ. {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ

تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}

(١) صحيح البخاري [باب كَيْفَ يُقْبَضُ الْعِلْمُ]

(٢) صحيح مسلم [باب رَفَعَ الْعِلْمَ وَقَبَضَهُ وَظَهَرَ الْجَهْلَ]

(٣) صحيح مسلم [باب معرفة الإيمان والإسلام]

ومما أنشد:

مَنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ عَنِّ شَيْخٍ مَشَافِهَةً

فهو عن الزيف والتصحيف في حرم

وَمَنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ مِنْ كُتُبٍ لِيَدْرُسَهَا

فعلمه عند أهل العلم كالعدم

سادساً توقير المعلم. قَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩]

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: من حق العالم عليك إذا أتيتُه أن تُسَلِّمَ عليه خاصةً
وعلى النَّاسِ عامةً وأن تجلسَ أمامه ولا تُشيرَ بيدك ولا تغمزُ بعينك ولا تقلُ قال فلانٌ
خلافَ قولك ولا تأخذُ بثوبه ولا تلحَّ عليه في السؤالِ فإنما هو بمنزلةِ النخلةِ المرطبةِ
التي لا يزالُ يتزلُّ عليك منها شيءٌ.

ومما أنشد:

ليسَ الذي تَكرمه لغيره

مثلَ الذي تَكرمه لنفسه

وقال موسى للخضرِ عليهما السلام. قَالَ تَعَالَى: { قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ

صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف: ٦٩]

قلت: وهذه غاية في التوقير ونهاية في التقدير.

والعالم ينصح ما وقر ويمسك ما حقر.

إنَّ المعلمَ والطبيبَ كلاهما

لا ينصحان إذا هما لم يُكرما

فاصبرْ لدائكِ إن أهنتَ طبيبه

واصبرْ لجهلك إن جفوتَ معلما

قلتُ وليحذر الطالبُ مِنَ الجُرأةِ على شيخِهِ والنفرةِ مِنْ تبيكتهِ لأنَّ مَنْ ذلَّ غنمَ وَمَنْ عزَّ حُرْمَ.

قالَ بنُ عباسٍ رضي الله عنه: ذلتُ طالباً وعززتُ مطلوباً.

وقالَ بعضُ الحكماءِ: مَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ ذلَّ التعلُّمَ بقيَ بالجهلِ معلم.

ومما أنشد:

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التعلُّمِ ساعةً

تَجِرَّعَ ذلَّ الجهلِ طولَ حياتِهِ

وقالَ بعضُ الحكماءِ: من استفادَ من شيخِهِ فليحذرَ من تسفيهِه ولا يظهرنَ له الإِسْتِغَاءَ عنه والإِكْتِفَاءَ منه فإنَّ في ذلكَ كُفراً لنعمتهِ واستخفافاً بحقه.

قالَ أبو البطحاء:

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رماني

فلاظفرت يمينك حين ترم

وشلت منك حاملة البناي

ومما أنشد:

وكم علمته نظم القوافي

فلما قال قافية هجائي

سابعاً: تركُ الغلو في المعلم. قالَ تَعَالَى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ
السَّبِيلِ } [المائدة: ٧٧]

و عنَ عُمَرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ

النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ (رواه البخاري (١))

ثامناً التدرجُ في التعلم.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ

أَمْوَالِهِمْ وَأَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ (رواه البخاري (٢))

ومسلم (٣)

فالتدرجُ في العلمِ من أوله يُوصِلُ إلى آخره والتدرجُ بالصغيرِ يوصلُ إلى الكبير.

وقد قيل:

ترقَّ إلى صغيرِ الأمرِ حتى

يرقيقك الصغيرُ إلى الكبيرِ

فتعرفَ بالتفكيرِ في صغيرِ

كبيراً بعدَ معرفةِ الصغيرِ

وقال الماوردي رحمه الله أوائلُ العلمِ تؤدي إلى أواخره ومدخله إلى حقائقه

ومفاتيحه إلى خواتمه لأنَّ البناءَ من غيرِ أساسٍ لا يبني والثمرَ من غيرِ غرسٍ لا يحني.

وقد قيل الفروع لا تطول إلا بالأصول.

ولم أر فرعاً طال إلا بأصله

ولم أر بدء العلم إلا تعلماً

ومن سأل بأي شيء يبتدي فبالشيخ ليهتدي. قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا

(١) صحيح البخاري [باب قولِ اللَّهِ {وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا}

(٢) صحيح البخاري [باب أخذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَتُرْدُ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا].

(٣) صحيح مسلم [باب الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ].

تَعْلَمُونَ { [النحل 43]

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ
«رواه مسلم (١)

العلمُ بيتٌ والمعلمُ سلمٌ

من أين ترقى البيتَ لولا المصعدُ

تاسعاً: العناية من العلوم بأولها لأنه لا حدّ لمنتهاها. قَالَ تَعَالَى: { وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: ٨٥]

وَقَالَ تَعَالَى: { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } [يوسف: ٧٦]

وقال الماوردي رحمه الله: العلوم كلها شريفة ولكل علم منها فضيلة والإحاطة
بجميعها محال.

وقيل لبعض الحكماء من يعرف كل العلوم قال كل الناس.

وقال الشعبي رحمه الله العلم ثلاثة أشبار فمن نال منه شبراً شمخ بأفنه .

ومن نال الشبر الثاني صغرّت إليه نفسه وعلم أنّه لم ينلّه وأما الشبر الثالث
فهيئات لا ينالُه أحدٌ أبداً.

وقال الشافعي رحمه الله:

كلمًا أدبني الدهرُ أرايَ نقصَ عقلي

وإذا ما زدتُ علماً زادني علمي بجهلي

وقال المأمون: العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا تستقصى

أصوله ولا تنضب أجزاءه وإذا كان كذلك فابدأ بالأهم في الأهم والأوكد في الأوكد
وبالفرض قبل النفل يكن ذلك عدلاً قصداً ومذهباً جميلاً.

(١) صحيح مسلم [باب معرفة الإيمان والإسلام]

وقد قيل:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه
حمل فأبصر
أي شيءٍ تحملُ
وإذا علمت بأنه متفاضلٌ
فاشغل فؤادك بالذي هو أفضلُ

وقال بعض العلماء:

المتعمق في العلم كالساح في البحر لا يرى أرضاً ولا يعرف طولاً ولا عرضاً.
وقيل لحماد الراوية: أما تشبع من هذه العلوم فقال استفرغنا فيها المجهود فلم
نبلغ فيها الحدود فنحن كما قال الشاعر.
إذا قطعنا علماً بدا علم

وأشيد الرشيد عن المهدي:

يانفس خوضي بحار العلم أوغوصي
فالناس ما بين معوم ومخصوصي
لا شيء في هذه الدنيا يحاط به

إلا إحاطة منقوص بمنقوص

وإذا كانت الإحاطة بالعلم محالاً فعلى طالب العلم أن لا يرهق حاله.

قال بن عباس: كفاك من علم الدين ما لا يسع المسلم جهله وكفاك من علم
الأدب أن تروي الشاهد والمثل.

وقال الشافعي رحمه الله: من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الحديث

قويت حجته ومن تعلم الفقه نبّل مقدارهُ ومن تعلم الحساب جزّل (١) ومن تعلم اللغة
رقّ طبعه. وقال بن قتيبة رحمه الله: من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ومن
أراد أن يكون أديباً فليتنفّن في العلوم.

(١) جزل حسن رأيه.

وقد قيل :

إحرص على كلِّ علمٍ تبلغُ الأملَ

ولا تواصلَ لعلمٍ واحدٍ كسلاً

فالنحلُ لما رعتْ مِنْ كلِّ فاكهةٍ

أبدتْ لنا الجوهريْنَ الشمعَ والعسلاً

الشمعُ بالليلِ نورٌ يستضاءُ بهِ

والشَّهْدُ يبري يا ذنِ الباريِّ العللاً

وقال يحيى بن خالد : لابنه عليك بكلِّ نوعٍ مِنَ العلمِ فخذْ منه فَإِنَّ المرءَ عدو ما

جهل وأنا أكرهُ أَنْ تكونَ عدوَّ شيءٍ مِنَ العلمِ.

وأشُد :

تفننْ وخذْ مِنْ كلِّ علمٍ فإِنَّمَا

يفوقُ امرؤٌ في كلِّ فنٍ لَهُ علمٌ

فأنتَ عدوٌّ للذي أنتَ جاهلٌ بهِ

ولعلمٍ أنتَ تتقنهُ سِلمٌ

عاشراً : كتابةُ ما يتعلم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ « . رواه أبو داود (١) وغيره وصححه الألباني (٢) »

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ (رواه البخاري (٣))

قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : إِنَّ هَذِهِ الْأَدَابَ نَوَافِرَ تَنْدُ عَنْ عَقْلِ الْأَذْهَانِ فَاجْعَلُوا الْكُتُبَ لَهَا حِمَاهُ

وَالْأَقْلَامَ لَهَا رِعَاهُ .

(١) سنن أبي داود [باب في كتابة العلم]

(٢) صحيح وضعيف سنن أبي داود رقم 3646 (ج 1 / ص 2)

(٣) صحيح البخاري [باب كتابة العلم]

وقال آخر:
أيها الطالبُ علماً

إت حماد بن زيد

واقتبسُ علماً وحلماً

ثم قيده بقيد

وقال بعضُ الأدباء: لولا ما عقدته الكتبُ من تجاربِ الأولين لا انحلَّ مع النسيانِ عقودُ
الآخرين.

وقال الخليل بن أحمد: اجعل ما في الكتبِ رأسَ المالِ وما في القلبِ النفقة.

أحد عشر: حفظ ما يتعلم. قال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٩]

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ «نَصَرَ اللَّهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا

حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَيْسَ

بَفِقْهِ». رواه أبو داود (١) وصححه الألباني (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ

بالأسواقِ وإن إخواننا من الأنصارِ كان يشغلهم العملُ في أموالهم وإن أبا هريرة كان

يلزم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بشبعِ بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون. رواه

البخاري (٣)

وقال الرحيبي رحمه الله فاحفظ فكلُّ حافظٍ إمام.

(١) سنن أبي داود [باب فضل نشر العلم]

(٢) السلسلة الصحيحة رقم 404 (ج 1 / ص 760)

(٣) صحيح البخاري [باب حفظ العلم]

وقال الشافعي رحمه الله :

علمي معي أينما يمتت يتبعني

قلبي وعاء له لا بطن صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي

أو كنت في السوق كان العلم في السوق

إثنا عشر: فهم ما يتعلم. قال تعالى: {فَمَا لَهُمْ لَوْلَا الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

حَدِيثًا} [النساء: ٧٨]

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به

خيرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ ». رواه البخاري (١) ومسلم (٢)

وقال أبو العتاهية :

إذا لم يكن لك حسن فهم

أسأت إجابة وأسأت سمعا

ثلاثة عشر: مراجعة ما تعلم. قال تعالى: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ

إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: ١١٤]

وقال بن عباس رضي الله عنه: مذاكرة ساعة خير من قيام ليلة.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: مدارس العلم تعدل بالصيام ومذاكرته بالقيام.

وقد قيل :

إذا لم يذكر طالب العلم علمه

ولم يستفد علماً نسي ماتعلما

(١) صحيح البخاري [باب من يرد الله به خيرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ]

(٢) صحيح مسلم [باب النهي عن المسألة]

وكم جامع للكتب في كل مذهب

يزيد مع الأيام في جمعه عمي

أربعة عشر: العمل بما تعلم. قَالَ تَعَالَى: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ } [

التوبة: ١٠٥]

و قَالَ تَعَالَى: { قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا } { 107 } وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا

لَمَفْعُولًا } { 108 } وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء: ١٠٧ -

[١٠٩

و قَالَ تَعَالَى: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

مَّحْمُودًا } [الإسراء: ٧٩]

خمسة عشر: تعليم ما يتعلم. قَالَ تَعَالَى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا

يَشْتَرُونَ } [آل عمران: ١٨٧]

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جَلَانٍ : أَحَدُهُمَا عَابِدٌ ، وَالآخَرُ

عَالِمٌ ، فَقَالَ : فَضَّلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنْ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - حَتَّى التَّمَلَّةُ فِي جُحْرِهَا ، وَالْحَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ -

لِيَصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» رواه الترمذي (١) وصححه الألباني (٢)

وقال الحكماء تعلم ما تجهل وعلم من يجهل فإذا فعلت ذلك علمت ما جهلت

وحفظت ما علمت.

(١) سنن الترمذي [باب فضل الفقه على العبادة].

(٢) صحيح وضعيف سنن الترمذي رقم 2685 (ج 6 / ص 185)

دخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَكَانَ لَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَفَادَهُ مِنْهُ عِلْمًا .
قَالَ أَتَى لَكَ هَذَا قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَمْنَعُ قَطُّ شَيْئًا أَفِيدُهُ وَلَمْ أَحْتَقِرْ شَيْئًا أَسْتَفِيدُهُ
وَكُنْتُ إِذَا لَقَيْتُ الرَّجُلَ أَخَذْتُ مِنْهُ وَأَعْطَيْتُهُ .

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: اجْعَلْ تَعْلِيمَكَ دِرَاسَةً لِعَلْمِكَ وَاجْعَلْ مَنَازِرَةَ الْمُتَعَلِّمِ تَنْبِيهًا
عَلَى مَا لَيْسَ عِنْدَكَ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَنَاطِرُ مَنْ تَنَاطَرَ فِي سَكُونٍ

حَلِيمًا لَا تَلُحُّ وَلَا تَكَابِرُ

يَفِيدُكَ مَا اسْتَفَادَ بِلَا امْتِنَانٍ

مِنَ النَّكَتِ اللَّطِيفَةِ وَالنَّوَادِرِ

وَإِيَّاكَ اللَّجُوجُ وَمَنْ يِرَائِي

بِأَبِي قَدْ غَلَبْتَ وَمَنْ يَفَاخِرُ

فِي الشَّرِّ فِي جَنَابَاتِ هَذَا

يَعْنِي بِالتَّقَاطُعِ وَالتَّدَابِيرِ

سِتَّةَ عَشَرَ الصَّبْرُ عَلَى التَّعَلُّمِ . قَالَ تَعَالَى: { وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } [المدثر: ٧]

وَقَالَ تَعَالَى: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } [السجدة: ٢٤]

[السجدة: ٢٤]

اخْلُقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِبَغِيَّتِهِ

وَمَدْمَنِ الْقِرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ مَا نَالَ عَبْدٌ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ نِيٍّ وَلَا غَيْرُهُ إِلَّا بِالصَّبْرِ .

وَأَنْشَدَ الْمُنْتَصِرُ بْنُ بِلَالٍ:

وَإِنْ عَسْرَتْ يَوْمًا عَلَى الْمَرْءِ حَاجَةٌ

وَضَاقَتْ عَلَيْهِ كَانَ مِفْتَاحَهَا الصَّبْرُ

وَمَنْ صَبَرَ عَلَى التَّعَلُّمِ حَازَ مَنْزِلَةَ الْعَلَمِ

صَبْرَتْ وَمَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ غَبَّ صَبْرِهِ

أَلَذَّ وَأَحْلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِي الْفَمِ

آداب العالم

فللمعلم آداب إذا تأدب بما أقبل عليه المتعلم وأحبه ولازمه وأخذ عنه وكان في ميزان حسناته يوم القيامة.

أولاً الإخلاص لله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. » رواه مسلم (١)

ثانياً: الدين لمن يُعلم.

قَالَ تَعَالَى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران: ١٥٩]

ثالثاً: الرفق بمن يُعلم.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهَمْتُهَا فَقُلْتُ وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ رواه البخاري (٢) ومسلم (٣)

(١) صحيح مسلم [باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار]

(٢) -صحيح البخاري [باب الرفق في الأمر كله]

وَعَنْ عَائِشَةَ ~: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ (رواه مسلم (١))

وَعَنْ عَائِشَةَ ~: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ (رواه مسلم (٢))

وقد قيل:

لو سار ألف مدجج في حاجة

لم يقضها إلا الذي يترفق

رابعاً: الحلم على من يعلم.

عَنْ عَائِشَةَ ~ قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (رواه مسلم (٣))

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٌّ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا أَلَا صَنَعْتَ (رواه البخاري (٤))

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي طَائِفَةِ الْمَسْجِدِ فَزَجَرَهُ النَّاسُ فَنَهَاَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِدُكُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَأَهْرِيقَ عَلَيْهِ. (رواه البخاري (٥))

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنِ الْخَزَاعِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا مُعْتَزِلًا لَمْ يُصَلِّ

(1) - صحيح مسلم [باب فضل الرفق]

(2) - صحيح مسلم [باب فضل الرفق]

(3) صحيح مسلم [باب مباحده ﷺ للأنام]

(5) صحيح البخاري [باب حسن الخلق والسخاء]

(5) صحيح البخاري [باب يهريق الماء على البول]

فِي الْقَوْمِ فَقَالَ يَا فُلَانُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتْني جَنَابَةٌ
وَلَا مَاءَ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ). رواه البخاري (١)

خامساً العفو عمن يُعلم.

قَالَ تَعَالَى: { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } [آل عمران: ١٥٩]

سادساً الصبر على أذى من يُعلم.

قَالَ تَعَالَى: { وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ } [المزمل: ١٠]

سابعاً: إكرام من يُعلم.

عَنْ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ

الرَّيِّحِ الْمُرْسَلَةِ). رواه البخاري (٢)

وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ

وَذَخِرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذَخِرٌ

وَمَا كَانَ يَدْرِي مَجْتَدِي جُودَ كَفِهِ

إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعَسْرُ

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ) رواه

مسلم (٣)

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ

فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ) رواه مسلم (٤)

وَفِي لَفْظٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ (غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ فَأَتَى

(١) صحيح البخاري [باب التيمم]

(٢) صحيح البخاري 1769 (ج 6 / ص 470)

(٣) صحيح مسلم [باب ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةَ عَطَائِهِ].

(٤) صحيح مسلم [باب ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةَ عَطَائِهِ]

قَوْمَهُ فَقَالَ أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا فَوَاللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا لِيُعْطِيَ عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ.

فَقَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُسَلِّمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ

الإِسْلَامَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) رواه مسلم (١)

وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْطَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِائَةَ مِنَ النِّعَمِ
ثُمَّ مِائَةَ ثُمَّ مِائَةَ قَالَ صَفْوَانُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ

النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ) رواه مسلم (٢)

وَشَرَى جَمَلَ جَابِرٍ رضي الله عنه فَأَعْطَاهُ الْجَمَلَ وَالثَّمَنَ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ
النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (اسْتَوْفَيْتَ الثَّمَنَ قُلْتَ نَعَمْ قَالَ الثَّمَنُ وَالْجَمَلُ لَكَ) رواه البخاري (٣) وَ

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رضي الله عنه : أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَةٌ مِنْ حُنَيْنٍ
فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ
أَعْطَوْنِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا

وَلَا كَذُوبًا وَلَا جَبَانًا) رواه البخاري (٤)

ثَامِنًا : بَذَلَ النَّصِيحَةَ لِمَنْ يُعَلِّمُ. عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. رواه البخاري (٥)

وَقَبُولِ النَّصِيحَةِ مِنَ الْمُتَعَلِّمِ. عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ
« قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ». رواه

مسلم (٦) وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) صحيح مسلم [باب مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةَ عَطَائِهِ

(٢) صحيح مسلم [باب مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا]

(٣) صحيح البخاري [باب مَنْ ضَرَبَ دَابَّةً غَيْرَهُ فِي الْغَزْوِ]

(٤) صحيح البخاري [باب الشُّجَاعَةُ فِي الْحَرْبِ وَالْجُنِّ]

(٥) صحيح البخاري [باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الدِّينُ النَّصِيحَةُ]

(٦) صحيح مسلم [باب بيان الدين النصيحة]